

زكاة المال وزكاة الدخل

وقد جدت في هذا العصر مشكلات مالية ، لا يجوز أن نقف أمامها مكتوفي الأيدي كما لا ينبغي أن نتراخى في وضع حلولها ، حتى لا يضطرب الناس في أمر دينهم . من ذلك نظام الزكاة ، فالزكاة ركن من أركان الإسلام الأولى ، ومن دعائم أوضاعه الاقتصادية التي يكفر من جحدها ويحارب مع المرتدين من منعها . وأنصبة الزكاة في صنوف المال حددتها الدين تحديداً يعتبر نصاً في أكثر الأحوال . ونريد أن نعتبره قياساً فيما سنورده من أمثال ونظائر .

ولبيان ذلك نقول : إن الإسلام أوجب إخراج ربع العشر من رأس المال الذي يبلغ مائتي درهم فما فوق . والزكاة في هذه الصورة معتبرة برأس المال فقط زاد أو نقص أو بقي على حاله مادام قد مر عليه العام . وقد فرض الإسلام كذلك زكاة في الزروع والثمار ، جعلها العشر أو نصف العشر .

والزكاة في هذه الصورة قد اعتبرت على أساس الدخل الناتج ، مر عليه العام أو لم يمر ، ولا عبرة فيها برس المال المغل ، وهو الأرض المزروعة قلت قيمتها أو عظمت .

ومن هنا نستطيع الحكم بأن قاعدة فرض الزكاة في الإسلام قد تكون رأس المال ، وقد تكون مقدار الدخل ، ونخلص من هذا إلى أن من له دخل لا يقل عن دخل الفلاح الذي تجب عليه الزكاة ، يجب أن يخرج زكاة مساوية ، ولا عبرة ألبتة برأس المال ، ولا بما يتبعه من شروط ؛ فالطبيب والمحامي والمهندس والصانع وطوائف المحترفين والموظفين وأشباههم تجب عليهم زكاة ، ولا بد أن تخرج من دخلهم الكبير ، ولنا على ذلك دليان الأول : عموم النص في قول القرآن

الكريم « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، ولا شك أن ربح الطبقات الآنفة كسب طيب يجب الإنفاق منه ، وبهذا الإنفاق الواجب يدخلون في عداد المؤمنين ، الذين ذكر القرآن أوصافهم : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والدليل الثاني : أن الإسلام لا يتصور في حقه أن يفرض الزكاة على فلاح يملك خمسة أفدنة ، ويترك صاحب عمارة تدر عليه محصول خمسين فداناً ، أو يترك طبيباً يكتسب من عيادته في اليوم الواحد ما يكسبه الفلاح في عام طويل من أرض إذا أغلت بضعة أراذب من القمح ضربت عليها الزكاة يوم الحصاد ! . .

لابد إذاً من تقدير زكاة على أولئك جميعاً ، وما دامت العلة المشتركة التي ينشأ بها الحكم موجودة في الطرفين ، فلا ينبغي المراء في إمضاء هذا القياس وقبول نتائجه .

وقد يقال : كيف نقدر هذه الزكاة ؟ وعلى أى نسبة تكون ؟

والجواب سهل . فقد ردد الإسلام زكاة الثمار بين العشر ونصف العشر على قدر عناء الزارع في رى أرضه ، فلتسكن زكاة كل دخل على قدر عناء صاحبه في عمله ، ومن الممكن إيضاح التفاصيل وتفريع المسائل وتحديد القيم بعد ما تقر هذا الأصل الخطير ، والأمر لا يستقل به تفكير واحد بل يحتاج إلى تعاون العلماء والباحثين .

أضرار التطبيق الحرفي لنظام الزكاة

نريد أن تؤتي النصوص ثمارها في أوسع نطاق ممكن لها ، وألا نحصرها في حدود ضيقة ، تبقى بعدها قليلة الجدوى ، قليلة الغناء ، وإلا استطاع الأغنياء أن يخرجوا من تبعة الإنفاق المحتوم ولا لوم عليهم ؛ وضاعت على الفقراء أموال كثيرة ، الدين في الحقيقة برىء من إضاعته ؛ فمثلا ذكر لي أحد التجار أن لديه ٢٠٠٠ من الجنيهات رصيذاً لعمله ، وأنه يجب عليه أن يخرج عنها ٥٠ جنيهاً وهو القدر الواجب إخراجه للزكاة — فإذا اشترى بهذين الألفين بيتاً واستغله بطريق الإيجار فهل تجب عليه زكاة ؟ والقواعد الموضوعية الآن توجب إخراج الزكاة عن الألفين الموضوعين في الخزان لا يكسبان شيئاً . ولا توجب إخراج زكاة ما عن الألفين اللذين يكسبان الكثير عند ما وضعنا في بيت للإيجار .

وهذا أثر من آثار التطبيق الحرفي لنصوص الزكاة !! وهناك أصحاب العزب التي تؤجر لصغار الفلاحين . يأخذ الملاك الألوف المؤلفة منها وهم لم يعملوا أبداً ولم يغبروا قدماً وينفقون ما يصل إلى أيديهم عن آخره فلا يكاد يبقى منه شيء لأنهم موقنون بأن ستجبي إليهم ثمرات كل شيء ... وهؤلاء لا تجب عليهم زكاة بينما تجب الزكاة على المزارعين السكادحين في أملاكهم المتعبين طول العام في السعي وراء أرزاقهم .

وهذا أثر من آثار التطبيق الحرفي لنظام الزكاة !! وهو ما لا يعقل أن يقره الدين . ولو عرضت هذه الصور للأئمة المجتهدين الأوائل لكانت لهم في ذلك آراء حاسمة ولانماع من الفقه الإسلامي هذا الجود الذي لا يزال يقرر أن أقل نصاب تجب فيه الزكاة من الفضة مائتا درهم ، ومن الذهب عشرون مثقالاً مع وحدة النقد في هذه الأيام وضرورة تساوي القيم من الذهب والفضة وغيرها !!

على أن إثارة الكلام حول أنصبة الزكاة وقيمتها لا يغير من معنى الزكاة الذى أشرنا إليه فى فصل سابق ؛ فهى محدودة المصروف والغرض وميزانيتها ضاقت أو اتسعت لا تنفق إلا فى مشروعات البر والإحسان التى أشار إليها القرآن . أما كيان الأمة الاقتصادية وما يتصل بهذا السكبان من تحقيق للعدالة الاجتماعية ، ونشر للفضائل ومحو للردائل وتعميم للثقافة وعناية بالصحة العامة وتنفيذ للمشروعات العمرانية ودفاع عن البلاد وحماية لمقومات الإنسانية ومثلها العليا وجهاد فى السلم والحرب لذلك كله ؛ فهذا لاصلة له بنظام الزكاة . وإنما تؤخذ الأموال اللازمة له من شتى الضرائب والالتزامات التى تفرضها الدولة كيف تشاء ومتى تشاء .

الأوضاع الاقتصادية

لله حق فى مال الإنسان فهو واهبه الأول ، وللجماعة حق فى مال الإنسان فهى البيئة التى نبت فيها وعاش فى جوها وخدمته شتى عناصرها خدمة مباشرة أو غير مباشرة فلها أن تتقاضى ثمن ذلك ، وكما أن حرية الإنسان الشخصية مقيدة بالأذى يضار منها المجتمع ، فكذلك حرية المالية ، فللمجتمع أن يتدخل فى مال الإنسان التدخل الذى تملى به الاعتبارات الدينية والمدنية التى يراها لازمة لاستقامة الأمور وإقرار المصلحة ، ولما كان رأى الدين أن الضرورات تقدر بقدرها فمدى تدخل المجتمع فى مال الفرد يضيق ويتسع على ما توحى به مقتضيات الأحوال العامة فأطلاق الملكيات أو تقييدها ، ووضع حد أعلى أو أدنى للضرائب على رأس المال أو على الدخل ، وجعل المرافق العامة ملكا للدولة أو للأفراد ، هذه كلها أمور يخضعها الدين لحاجات الناس وأطوار الزمن ، ولنا أن ننظر إلى حاجات شعبنا ومطالب عصرنا

وأحوال وطننا ونضع لأنفسنا ما نشاء من النظم الاجتماعية والاقتصادية
التي نراها كفيلة بتحقيق أهدافنا الكبرى في ميادين الإصلاح العام .
والشعب في الحقيقة يدفع باليمين ما يأخذ بالشمال . فما يؤخذ منه
يرد عليه وينفق في مصلحته ولا يجوز ألبة أن تستغل أموال الشعب
في النواحي الشخصية لأحد ، لينفق منها على زينته ويسرف على أهله .
فما لهذا تشرع الضرائب ويحل جمعها والحكومة الصالحة هي التي ترتب
أبواب ميزانيتها لخدمة الشعب والنهوض به ورفع مستواه . وإن كنا
للأسف نرى مسارب المتع الشخصية لا آخر لها فيما تنفقه الحكومات
باسم الشعب .

وخطط الإصلاح التي رسمناها توجب علينا — دينا ودنيا — أن
تشكل أوضاعنا الاقتصادية على نحو جديد ، إن كنا حقاً جادين في دفع
غوائل الفوضى والفساد عن بلادنا... وأمامنا صور حية وبرامج مدروسة ،
وأنظمة مطبقة في كثير من أقطار الأرض يجب أن نفتس منها ما نقيم
به العوج ونحسم به الداء . ونقترح — على سبيل المثال لا على سبيل
الحصر — الحلول الآتية لإنهاء مشاكنا السياسية والاجتماعية والأخلاقية .

(١) « تأميم » المرافق العامة وجعل الأمة هي المالك الأولى
لموارد الاستغلال وإقصاء الشركات المحتكرة لخيرات الوطن أجنبية
أو غير أجنبية ، ومنع أى امتياز فردى يعطى من هذا القبيل .

(٢) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى وتكوين طبقة من صغار
الملاك تؤخذ نواتها من العمال الزراعيين .

(٣) فرض ضرائب على رءوس الأموال الكبرى يقصدها تحديد
الملكيات غير الزراعية .

(٤) تسترد الأملاك التي أخذها الأجانب وتعاد إلى أبناء البلاد ،
ويحرم تملك الأرض المصرية على الأجانب تحريماً مؤبداً .

(٥) تربط أجور العمال بأرباح المؤسسات الاقتصادية التي يعملون فيها بحيث تكون لهم أسهم معينة مع أصحابها في الأرباح الأخيرة .
(٦) تفرض ضريبة تصاعدية على التركات تنفق في وجوه الخير على النحو الذي أشار به القرآن « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فازقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » .

هذه خطوط صغيرة تمهد بها لجمال الأمة طبقات متوازنة لا طبقات متعادية ، ونختتم بها المأسى المريرة التي تمخض عنها نظام الطبقات المعروف بمظالمه ومخازيه .

ثم يجب بعدئذ أن نمحي الأمية محواً تاماً وأن تعمم مراحل التعليم الابتدائي والثانوي ، وأن يجبر كافة الأفراد على الانتظام في التجنيد العسكري وأن تتكافأ الفرص أمام أبناء الأمة جميعاً في أخذ نصيبهم من الحياة الصحيحة ، وأن تلغى الألقاب الجوفاء فلا تبقى إلا الألقاب العلمية والعسكرية ونحوها ، وأن تصادر ضروب التحلل الخلقى والإلحاد الدينى ، وأن يعنى بتربية الطفولة تربية طيبة وتوجيه الرجولة توجيهاً سديداً فاضلاً . وأن تتضح ميزانية الدولة لتنفيذ هذا المنهاج فلا يجوز أن تكون هناك عوائق اقتصادية تحول دون أن تنتفع به الأمة وترتفع ولو لم يبق لكل فرد من أفراد الشعب إلا قوته الضرورى لما جاز أن تتراجع الدولة في تحقيق هذا البرنامج الذى تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار !!! .

أجل فلتفرض الدولة على الأملاك ما تشاء من القيود وعلى الأموال ما تشاء من الضرائب وعلى الأوضاع الاقتصادية ما تشاء من الأنظمة ، فإن الدين ظهيرها في هذه الوسائل السهلة أو الصعبة ما دامت تريد من ورائها حماية جمهور الشعب من أن يسقط فريسة سهلة للاستعمار الداخلى أو الخارجى على السواء . . . !!

وفى سبيل الإبقاء على كيان الأمم يهون البذل عن سعة وسخاء . !

حقائق مؤسفة

كنت أتردد على الريف بين الفينة والفينة بغية الاستجمام فما أدركتني قط عواطف الشعراء حين كنت أعيش بين أهله وأخالطهم عن كذب . وما فرج عن قلبي ما يتوهم وجوده هناك من الماء والخضرة والوجه الحسن ! . فإن نظرتي للأشياء واقعية اقتصادية لا أثر فيها للخيال ، ولا تطلع فيها للجمال . . الماء ؟ إنه عكر يشربه الناس ويشربون معه شتى الجراثيم . فهو للارتواء وللداء معاً !

والخضرة ؟ إن هذه الزروع اليانعة يمشى في ظلها المستأجرون الهلكى أو الملاك المدينون وعلى ملاحظهم من غبار الأرض قتام حافل بالنذر من المستقبل المريب ! وحتى الدواب سرت إليها هي الأخرى العدوئى فهى عجاف ساهمة ، برغم نشاط وزارة الزراعة فى تلقيحها بالأمصال الواقية . . والوجه الحسن ؟

أين ترى الوجوه الحسان بين هذا الماء وهذه الخضرة ؟ إن الجمال الإنسانى مسخ فى فتيان الريف وفتياته فالكثرة الساحقة من الرجال والنساء فيها صور مجملة لأبناء آدم أما الملامح التفصيلية ففيها تحريف كثير ودمامة بادية والتواء ترك على الجبين الكادح عروقا نافرة ، وعلى الوجوه الساهمة غصوناً غائرة ، ثم هناك شلل فى نماء هذه الأجسام قلما ترى معه الهامات الفارعة والعضلات الحافلة . ولولا إلغاء الجيش المربط لرأينا فى شوارع المدن « عينات » كثيرة لهذه التعاسة السائدة خفف من شدتها بعض التجميل والتصحيح الذى يفرضه النظام العسكرى ؟ تلك هى حال الريف . حال المستودع الذى تأخذ منه الدولة الرجال والأموال . بينما تترك أسباب الفناء تعمل فيه عملها الشنيع . .

فإذا تركت الريف إلى المدن وجدت مظاهر الرخاء والنعمة منتشرة هنا وهناك ، ولكن حظ المصريين في هذا كله ضئيل . إذ أن الميادين والشوارع الكبرى تنكاد تكون وقفاً على رموس الأموال الأجنبية ، ولستنا ننفي أن للوطنيين حظاً في هذه الأعمال والمشروعات الضخمة غير أن الأجانب يظفرون منها بنصيب الأسد . ولا تزال الأحياء الوطنية أمثلة باقية ناطقة بالفوضى العمرانية والهوان المادى والأذى الذى تعيش فيه جمهرة الشعب . وكفى فى الغرف الحقيمة والأزقة المظلمة والخرائب المتهدمة من كفايات مقبورة وعزائم مقهورة ونفوس نسيت النور من طول ما قبعحت فى الظلام .

عندما كنت أزور « مصر الجديدة » كان يلفت نظرى ما يبدو على هذا الحى الفخم من سعة وجمال ونظافة ، وما يستمتع به أهله من راحة وطمأنينة ، وتذوق للحياة الطيبة . وليس هذا ما أريد أن أسجله إنما الذى أريد تسجيله ، أنه إلى جانب هذه القصور الشاهقة ، والمباني الرائعة ، توجد أرض أخرى عليها بيوت كأوكار الشعالب ، وفيها وحشة كأنما خلعت عليها من صمت القبور ، يقطنها أقوام عضهم البؤس والفهم فى أرديته السكينية . وهذه الأرض بما عليها من جدران وقطعان تسمى — عزبة المسلمين ! — والحق أن هذه التسمية تترك فى القلب ألماً بمضاً وأسفاً عميقاً . . . وتجعل الرجل ينجل من نفسه ، ومن جماعته ، ومن دولته . . . وتجعله يشعر بما فى هذه التسمية من غمز وتحقير ، لا لمسلمي مصر فحسب ، بل للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها !

ولعل سر هذه التسمية أن شركة أجنبية هى التى تولت بناء الجزء الفخم فى الحى الفخم ، تاركة لنا أن نعمر عزبتنا الحقيمة بأيدينا إن استطعنا التعمير . ونحن مذهولون عن ذلك لأننا مقيدون بميراث ثقل من سوء الفهم فى الدين والدنيا جميعاً . . مشغولون عن التعمير المادى

والأدبي بالثرثرة الإصلاحية والألاعيب السياسية والمشاكل الشخصية .
ولا علينا أن تكون منزلتنا الاجتماعية ممثلة في عزبة إلى جانب قصور .
فإن منزلتنا السياسية في العالم منزلة الخرب من المعمور ، أو الظلام
من النور . .

وقالوا إن الحكومة صح عزمها على مكافحة الجهل والفقر والمرض
وسواء كان الغرض من هذه المكافحة تأمين البلاد ضد الشيوعية . أو قطع
حجة الإنجليز في صلاحية مصر للاستقلال . أو الرحمة الحقيقية بعباد الله
من أن تأتي على بقيتهم أخطار هذا الثالوث الوبيل . أيّامًا كان الأمر فإن
هذا عزم نسربه ، ونرجو أن يأخذ طريقه إلى الحياة والنماء ، لكن
بوادر التنفيذ إلى الآن توحى بأن الأمر هزل لا جد . والدعاية الطويلة
التي سبقت مشروع المكافحة ، لم تتمخض عن أمر ذي بال ، فقد وكل
إلى « الروتين » الحكومي المعتاد ، وإلى بعض المجالس والمصالح المعروفة
أن تقوم على إنقاذ البلاد من أخطار هذا الثالوث الفتاك ، مع أن الحالة
تحتاج إلى تجنيد عام وإلى تسخير أبواب الميزانية ، جملها إن لم يكن كلها
لإنقاذ الوطن من هذه الأعداء الداخلية المتغلغلة في تربته من قديم .

إنهم لو ألفوا وزارة مختصة بعلاج هذه المشاكل على نسق وزارة
الشئون الاجتماعية ، ما استبشرنا بذلك خيراً . فمشاكلنا أعقد من ذلك
وأعصى على مثل هذا العلاج الضعيف ، غاية ما سيحدث أن أموالاً
ترصد ، وموظفين يعينون ، ومشروعات يعلن عنها ، ثم يبقى الجهل والفقر
والمرض ، كما بقيت أوضاعنا الاجتماعية محتلة لم تصلحها الوزارة التي
ألفت باسمها وكونت لإصلاحها .

وعند ما يذهب المريض إلى طبيب يشخص له الداء تشخيصاً مغلوطاً
ثم إلى صيدلي يركب له الدواء تركيباً مسموماً ، فأني يحىء الشفاء ، وكيف
تنتظر النجاة ؟ ؟

إن الحكومات المتعاقبة تتجاهل مصدر الشر وأساس البلاء ، وهي تبذل الأموال وتسخر الرجال لغسل الظل المرسوم على الأرض ، ولا تفكر في أن تزيل الجسم الذي يلقيه إلقاء ويثبتته إثباتاً ... وقد تنكشف — لعوامل خارجة — ظلال الأحزان التي تغمر أبناء هذا الوادي ، واسكنها أن تزول إلا إذا زالت الأوضاع المعوجة ، وإلا إذا طلعت الشمس فلم تجد أشعتها عائقاً يرد عن الناس أسباب الضياء والنماء .

المجتمعات المنحطة

لا يزدهر فيه — الدين

جهد ضائع :

حيث يوجد الهوان المادي والأدبي ، لا يرجى خير ولا يؤمن شر . فالإنسان المغلق الخامل المحطم لا ينتفع بالدين ولا ينتفع به الدين . . ما الذي يفيد الإسلام من رجل طمست حياته وشاھت ملكاته وعاش على ظهر الأرض حفنة من ترابها أو قطعة من صخورها ؟ إن الإسلام لا يستفيد شيئاً من هذا الشخص . بل إنه يضار به ويهون فيه والإيمان الملوث يزرى بأطهر السوائل ويبخس قيمتها . كذلك الشعوب العاجزة الكسول تحط من مكانة الأديان التي تعتنقها وتهبط بمستوى العقائد التي تنتمي إليها . !!

وكما أن الدين لا ينتفع بتابعه الهين ، فإن التابع الهين لا يحسن الإلتفاع بما سيق إليه من موارث نفيسة ولا بما أحيط به من مبادئ غالية كالجاهل الذي يلقي نفسه في مكتبة حافلة ، أو المعمود الذي يواجه مائدة مفعمة بل إن الاتباع الحق كثيراً ما يفرضون سفههم على أسمى

الحقائق فبدلاً من أن يرتفعوا معها إلى القمة يهبطون بها إلى السفوح!!
ومن ثم يجب أن نقرر هذه الحقيقة في علاجنا لمشاكلنا المعقدة :
إن شعوب الشرق الإسلامي تحتاج قبل أن تفهم الإسلام وقبل أن ينتظر
منها إعزاز الإسلام ، إلى جهود جبارة لرفع مستواها المادى والأدبى أى
إلى تصحيح إنسانيتها أولاً حتى إذا كونا الإنسان الذى يعقل ما يخاطب به
ويعرف واجبه نحوه قلنا له : أنصر ربك ونفسك إذا شئت الحياة الكريمة
فى يومك وغدك . أما جهود المصلحين قبل اتخاذ هذه الخطوة فهى أمواج
من الماء تتدفق على صحراء من الرمال . . هيات أن يكون لها ثمر !

ما الدين ؟

والدين فى حقيقته ليس إلا تكميلاً لمشاعر الإنسان وتصحيحاً
لمواهبه فهو عقل يحسن التفكير وعين تحسن النظر وأذن تحسن السمع
ويد تحسن العمل . . . والمؤمن على هذا إنسان ناضج الفهم والتأمل
والحكم على الأمور ، إنسان جيد الإنتاج والآثار والتصرفات . . . فإذا
اضطربت هذه المعانى فى نفسه اضطرب معها مصدر الإيمان فى قلبه ولبه
وتقلصت معها حقيقة إنسانيته . ولا تزال طوائف من الناس تفقد إيمانها
وإنسانيتها معا حتى تدمغ بوصف القرآن لها وإن شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون ، والمرء يستحيل دابة يوم يموت فيه عقله
المفكر وترتكس فيه مشاعره اليقظة فيصبح غير مسئول عن سمعه وبصره
وفؤاده لأنه ليس له من ذلك إلا ما للحيوان السائم ، حواس مستخرجة
فى أغراض الحياة الدنيا فقط . وأمثال هؤلاء هم للأسف العميق قوام
الجمهير الغفيرة التى أعماها الجهل وأوهاها المرض وأهانها الفقر ، قوام
الكتل الضخمة من البشر الذين يزخر بهم الشرق ولا يتقدم بهم إلى
الأمم خطوة بل يتأخر بهم خطوات ، أوهم التراب الذى تبرد فيه
حرارة الإسلام وتبدد قواه كدين موجه فعال .

هذا الهوان المادى والأدبى لا ينبغي حسبانته ديناً أو ظلاً لدين فهو عار ولدته بيئات آثمة لا تتصل بالدين إلا إدعاء ، ولا يتصل بها الدين إلا مشوهاً مظلوماً مفترى عليه .

ولكى نظمئن إلى وجود ديانة صحيحة وأتباع محترمين يجب أن نسارع إلى محو كل أثارة للفقر والجهل والمرض وأن نخلق جيلاً جديداً يصلح بفطرته لأداء الرسائل الكبرى وحمل أعبائها .

رجال ورجال

كلما نظرت إلى الرجال والنساء ، فى الريف البائس المكروب أو فى زحام الأحياء الوطنية بالمدن أو حيث أعمل لوعظ الناس (!) بالمساجد وأشباهاها من الأندية الدينية — كنت أرى أن هناك حلقة مفقودة لا بد منها ليتصل هؤلاء الناس بالدين اتصالاً مجدياً عليه وعليهم .

فقد يحدث أن تبذل وقتاً فى تطيب دابة جريح وأن تبذل الوقت نفسه فى إصلاح سيارة عاطلة أو طيارة مهیضة ، ولكن النتائج التى تحصل عليها من وراء هذه الجهود تتفاوت تفاوتاً كبيراً ، والذى يركب الدابة بعد شفائها غير الذى ينطلق بالطائرة بعد إصلاحها .

والتبشير بالدين بين الشعوب البليدة الوانبة المترنحة ، قد يكسب الذين عدداً من الأنصار الكسالى أو الأتباع السكارى ، فهل هذه الثمرة هى التى تحصل عليها لو جئت من بداية الأمر ، فعملت على فتح العقول المخلفة وإنماء المواهب المشلولة وإعزاز النفوس الكسيرة وإبراء الأكف والأبرص ؟ فإذا قدمت للدين بعد ذلك أحداً ، قدمت له قوة يعمل بها لاعتبة يضطرب حياها . . . ! !

إن النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وجه دعوته الأولى للعرب وهم — على كفرهم الموروث — قوة لا يستهان بها فى موازين الرجولة . أجسام لم تستنزفها الأمراض المتوطنة ، وكفايات خلقية عارمة لما كانت

فى جانب الضلال جعلته مرهوب العدو ان فلما نقلها صاحب الرسالة العظمى من الغى إلى الرشاد ، جعلت الحق مهيباً ، وطوقت به فى أقطار الأرض تصارع دونه الأبطال وتزلزل أمامه الجبال .

وأمام الشعوب الإسلامية الآن مراحل من صحة الأبدان والأخلاق . ومن كفاية العمل والنظام ، ومن روعة الإنتاج وإخصاب المواهب . . . مراحل طويلة يجب أن تقطعها على عجل ، حتى تقف على قدم المساواة أمام شعوب الغرب الكافرة بالإسلام بل المتمردة على الديانات جملة . إن هذه الأمم المحسوبة على الإسلام لن ترفع به رأسا ولن ترفع له علما مادامت تعيش فى هذا الدرك من الهوان الانسانى .

قيمة العقل فى الدين

إن حدة الذكاء وبقظة الفكر واستنارة الرأى عناصر لا بد منها فى تكوين الايمان الصحيح . فإن الايمان معرفة بلغت حد اليقين وانتفت معها الريبة ، وحيث لا يوجد الادراك الواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذى موضوع !!

ولا يحسب أحد أننا بذلك نظلم البلهاء ، أو نغمط الحق حقهم — إن صحت لهم حقوق — بل أننا نستوحى هذا الحكم من نصوص القرآن الكريم نفسه . فالعقول الذكية وحدها هى التى تستطيع اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله فى شتى الأمكنة والأزمنة « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . »

والعقول الذكية وحدها هى التى تميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الوحى من نزغات الهوى وتلفيق الضلال « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب . . . » والعقول الذكية وحدها هى التى تستفيد من عبر الماضى ، وتنتفع بتأريخ الإنسانية

الطويل ، وقصص الأبطال أو الأبطال ، من المصلحين أو من المفسدين .
« لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب » . . . ولا تكون الحكمة
في معالجة الأمور ، والدقة في الحكم على الأشخاص ، والمسائل والبصر
بالمقدمات والنتائج إلا لأصحاب العقول الواسعة والمواهب الرائعة « يؤتى
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً . وما يذكر
إلا أولو الألباب » وتربية العقول وإذكاء المواهب ، وتفتيق الماسكات
الإنسانية ليس أمراً هيناً فمرحلة التعليم في المدرسة ومراحل التجريب
في الحياة واستيراد الأفكار البعيدة وضم ما لا نعرف إلى ما نعرف والنظر
في الجديد نظرة تليطف وإيلاف ، لا نظرة جمود واعتساف ، والتطويف
في آفاق العوالم المادية والأدبية . هذه جميعاً وسائل لترقية العقل
الإنساني ثم هي بعد وسائل العقل السليم لمعرفة الله ، وحسن الإيمان به
والإفادة من دينه . إن عمل العقول السكيلة في آيات الوحي هو عينه عمل
الحشرات القارضة في أوراقه عند ما يدب فيها البلى ، تتلفها ولا تعرفها
وتظلمها ولا تنصفها ؟ وذلك سر التدهور الاجتماعي بين جماهير الأميين
من المسلمين وغيرهم . وما أبعد هذه السكتل الأمية عن الدين ! مهما
زعموا لها من إيمان العجائز ! !

نعم قد يكون هناك من ذوى العقول القوية من يجيدون عن منهاج
الاستقامة وأصول الفضائل ومن يتمرد على تعاليم الدين ، بيد أن هذا
لا يقلل من قيمة العقل قط . ولكنه يبين لنا خطورة الشهوات الجامحة ،
والأهواء التي قد تصرف المرء عن الحق وهو يعرفه ثم إن محاربة الجهل
أن يطغى على العقل لا تغنى عن محاربة الفساد أن يتطرق إلى الفؤاد .

والنكسة التي أصابتنا في تاريخنا الطويل جاءت من فساد عقول
العامة ، ومن فساد ضمائر القلة الحاكمة . فإذا أصلحنا العقول بالتعليم
الشامل صحا الشعب فلم يبق أمام فاسدى الضمائر متسع للبقاء ، ذلك أن

الشعوب المتعلمة قوة يحرف تيارها القذى والغشاء ... فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض فلنعدل — على عجل — لرفع المستوى العلمى ، فهذا وحده السبيل .

زعموا أن ظريفا سمع رجلا يشكو إلى الله علمته ولم تكن علمته من داء واحد فأخذ يسأل الله أن يشفى له بصره المرمود وبطنه الممعدود وقلبه المضطرب وقدمه المختلج و . و . فقال له الظريف : يا أخى بدلا من أن يرفع فيك هذا كله يأخذك ويخلق غيرك ! هذه الفكاهة التي أداروها حول المريض المسكين ، ذكرتها في نفسى عقب إلقاء عظة طويلة على المصلين في مسجد السيدة زينب ، وبعد نظرة عميقة إلى الحال النفسية والعقلية والبدنية ، التي تعمل عملها في جمهور هذه الأمة ؟

إن هناك كثيرين من أبناء الجيل الحاضر يعز على الإصلاح حالهم لأنهم مصابون من نواح شتى ، ولأن الالتواء الذى حدث فى فطرتهم يكاد يصبح فيهم خليقة ثابتة فأنت لا ترقع خرقا حتى يظهر لك فتق جديد .

أضحى يمزق أنوائى ويضربنى أبعد شئبى يبغي عندى الأدبا ؟
إننى أنصح بالانجاء إلى الناشئة والعناية بمغارسها حتى يتم نماؤها على خير الوجوه فإن الأجيال التى مرنت على الظلام تستغرب النور ، وما أصدق قول الله عز وجل « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم » .

نتائج محزنة

يربو عدد المسلمين في العالم على عدد اليهود أربعين ضعفاً ، وقد مثل هؤلاء اليهود مع المسلمين الرواية التي يمثلها اللص العادي مع صاحب البيت الوداع ، وبدلاً من أن يقاد المجرم إلى التحقيق وينتصف منه لصاحب الحق المهضوم فإن اللصوصية الدولية أهدرت الحق الواضح ومن ورائه أربعائة مليون مسلم وآزرت الباطل السافر ومن حوله عشرة ملايين يهودي لأن معسكرات السياسة الدولية القائمة على المنافع المحضة استهانت بالكثرة المحقة ولم تحرص على كسبها ولم تبال بنبذها على حين خطبت ود اليهود وسترت مخازيم وزوقت باطلهم وحاربت في صفهم !!!

ولماذا كل ذلك التجنى والجحود ؟ لأن القلة اليهودية التي تحدثنا — على كثيرتنا — تسلحت بآخر ما وصل إليه العقل الإنساني من قوى علمية ومادية فأصبحوا بين أحزاب العالم المتحيزة موضع رجاء وخوف على حد قول الشاعر .

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كيما يضر وينفعا
فأما المسلمون فلا تزال أحوالهم العامة تجعلهم موضع الأسى من الصديق وموضع الشماتة من العدو .

ولا ريب أن هذا الظلم الفادح الذي أوقعته بنا السياسات الكبرى قد هزنا هزاً واستيقظنا منه على قارعة أثارت الحفاظ ، ونهتتنا إلى ما ينبغى عمله لضمان مستقبلنا بعد ضياع حاضرنا .

فلنذكر أن الإسلام يجعل المسلم أهلاً للنصر يوم يكون ذلك المسلم أرجح في ميزان الحق من عشرة آخرين « إن يكن منكم عشرون صابرون

يغلبوا مائتين . وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون .

والكلمة الأخيرة في الآية هي مفتاح الموقف . فعندما تكون النفسية الإسلامية والعقلية الإسلامية أعظم اتساعاً وأطول باعاً وأسبق في ميدان المعرفة وأقدر على إنشاء الحضارة وأرسخ في حماية المثل العليا . وعندما تكون الأمة العقلية والاجتماعية في جانب غيرنا لا في جانبنا وعندما نوصف بالذكاء ويوصف عدائنا بالغباء ويقال فينا إننا نفقه . وفي خصوصنا إنهم لا يفقهون كما تنص الآية الكريمة عندئذ فقط نحل قضايانا بأيدينا ، ونلزم الحياة أن تتبع قواعد العدل ، ثم تعنو الحياة لنا طوعاً وكرهاً ، لأن البقاء للأصلح حتماً ! !

وقبل أن نصل إلى هذه المرحلة لن يقدر المسلم أن يقف أمام عشرة بل سيحدث العكس وسينتصب اليهودي أمام عشرة منا لا . بل إنه قد وقف فعلاً أمام أربعين ! !

لماذا ؟

ولك أن تسأل دهشاً : لم تكون هذه أحوالنا وأوصافنا ؟ ولم تمضي سنة الحياة فينا على هذا النحو القاسي ؟ خلقنا من طينة غير طينة هؤلاء الذين يسودون الدنيا ويقودونها . . . والجواب كلا . . . فسادة اليوم هم عبيد الأمس وعبيد اليوم هم سادة الأمس . والنفس الإنسانية تذوى وتنمو وتشكش وتمتد على حسب التربة التي تحيا فيها ! ! ولو أتيحت لشعوب الشرق الفرص التي أتيحت لشعوب الغرب لبدلت الأرض غير الأرض . ألسنت ترى أرجل البشر تكبر على طبيعتها هنا وهناك حتى إذا ذهبت إلى الصين حيث يلبس البعض أحذية من حديد وجدت أقداماً ضامرة شل الحديد نماءها منذ الطفولة ! !

إن لدينا أنظمة هي وأخذية الحديد الصينية سواء . . أنظمة تركت وراءها حطاما من الأجيال الهامدة التي عاشت عمرها في صراع مع الضرورات المذلة . ومثل هذا الصراع يموت فيه المنهزم موتاً مادياً ، محروما من العافية والاستقرار ، ويموت فيه المنتصر موتاً أدبياً ، فأنى — يقنع في حياته بنيل ضروراته — الترقى والازدهار ؟ ؟

أنظمة تجعل الحياة في المجتمع دون الحياة في الغابة فإن الطيور تغادر أعشاشها سعياً وراء رزقها فتغدو خماساً وتروح بطاناً فنتيجة سعيها تكون مكفولة فكيف الحال في مجتمعات يرهق العامل فيها نصباً ويقضى حرماناً ؟ أجل . . قد تكون آجال الحيوانات في الآجام مرهونة بجوع السباع وشبعها ، أفتحسب الحياة في بعض ربوع الشرق أفضل من ذلك ؟ لا تزال هناك أمم تعطى حق الحياة لكبارها أولاً . . ثم للصغارها ما عنت وجوههم لهؤلاء الكبار وما استغنى الكبار عن افتراس هؤلاء الصغار . وإلا فالحكم للسيف والنار ، ولمن يملك السيف والنار .

آفات هي علة العلل

البيئة الحرة الكريمة هي التي تعيش في حضانتها الإنسانية الصحيحة ، وهي التي ينتظر منها أن تنبت النفوس القوية والعقول الذكية والأجسام الفتية . ولن تجد جراثيم الطوان المادى والأدنى بقاء لها في مثل هذه البيئة ، ففي الجوالصحو والأرض المشمسة تموت الديدان وتنقرض الأوبئة . لكن الاسترقاق السياسى والاقتصادى عدو البشرية الأول وسرطان الأمم المعذبة . وفي ليله الطويل لا تلمح العقول أشعة المعرفة ولا تدرى الطباع معنى السكرامة ولا تشرب النفوس حب الخير . وأنت إذ تبحث جاهداً عن الفرد الذى تعلم في الغرب فاخترع . أو الذى انتخب حاكمه ثم جاء دوره هو فحكم ، إذ تبحث عن هذا الفرد في ظل الاسترقاق

السياسى والاقتصادى تجده تائها كاسف البال يحسب أن وظيفته فى الحياة لا تعدو العيش على هامش الفلاحة فى أرض ملكته ولم يملكها ، أو الاحتراف فى أشغال بدائية لا تدر إلا الكفاف .
ويستند هذا الهوان تدين فاسد خرج من الأرض ولم ينزل من السماء وليته خرج من أرض نقية فكان فكرياً سليماً بل خرج من أرض سبخة فكان عبثاً رجياً .

هذا التدين المكذوب على الله عز وجل كانت مهمته أن يخفف من وقع الاستبداد السياسى والطغيان الرأسمالى على نفوس المظلومين والمحرومين . حتى شاع بين الكثيرين أن الدين مخدر للشعوب ، وليس أبعد عن الصدق من هذه المقالة الجائرة . على أن الدين — وقد أصيب بهذه التهمة لأسباب شتى — بحاجة إلى من يسمح عنه عاره ويرد إليه اعتباره ويصيح فى المشرقين والمغربين إن الدين عون الشعوب على نيل حقوقها وكسر خصومها وحفظ حرياتهما وضمان كراماتهما .
بلى . . . ونحن موقنون بأنه فى الوطن المغلوب على أمره ، المنهوب خيره ، الممتن أهله ، لا عمل للدين أولاً إلا رد الحقوق ومنع العقوق وكسر شوكة المعتدين وإذلال كبرياء الظالمين .

إن الاستبداد السياسى والافتيات الرأسمالى والتدين الصناعى آفات قديمة فى الشرق .

وإنها لسفالة لا قرار لها . . . أن يسخر الإسلام فى إبقاء هذه الآفات ، إن بعض الجماعات المتدينة تحسب أن قوام الدين هو الإيمان بالغيب واليقين فى الآخرة والعبادات الخاشعة والتعاليم الروحانية . . . وطائفة أخرى من الأحوال الشخصية والأحكام الفردية المحددة . . . وهى تنشط لخدمة الدين فى هذه الدائرة الضيقة ولو نجحت فى بلوغ أهدافها هذه مع بقاء الديكتاتورىة السياسية والرأسمالية الاقتصادية فإن نجاحها والفشل سواء . وسيظل الدين تعاليم فى ورق ورقاً على الماء . ما بقيت الفرعونية الحاكمة والقارونية الكائنة تفسد فى الأرض وتسفك الدماء .

كيف ينظرون إلينا؟

لئن كانت الفوضى الاقتصادية قد صدعت البناء الاجتماعي للإسلام كسدين عام ، وشوهت حقائقه الأولى في عقول أبنائه وقلوبهم كعقيدة خاصة فقد أصابت كذلك الوضع السياسي للمسلمين بما جعلهم أعجوبة في العالمين . .

وإنك لتستطيع أن ترى مصداق ذلك فيما تقرأ وتسمع كل يوم مما يصيبنا في محافل العالم الكبرى ، وقد كنا نرجو — وخصوصاً منا كثير — أن يدور الصراع بيننا وبينهم على أسس من الاحترام المتبادل . . أجل فقد يكون لك عدو تكرهك مواهبه على تقديره . وقد يكون لك صديق تكرهك تفاهته على تصغيره ! ! فأين — ياترى — ينزلنا العالم فيما ينشب بيننا وبين غيرنا من خلاف ؟

أنقل هنا كلمة كتبت على هامش السياسة الخارجية بصحيفة يومية وفيها الجواب على هذا السؤال :

« إن الشرق الأوسط ما زال موضع ازدراء الأمم الراقية رغم غناه بالمواد الأولية الهامة ، ورغم مركزه الممتاز في عالم التجارة ، وسبب ازدياده أن الحكومات في الجزء الأكبر من رقعة الشرق لا تهتم بمشروعات الإصلاح الفعالة المنتجة قدر اهتمامها بالمشروعات التي تعود على الأقطاب بدعاية كبيرة أو شهرة واسعة أو نفوذ متسع النطاق ، أما التعليم والرى وإنشاء خزانات المياه لوقت القحط والانتقال من زراعة المطر إلى زراعة الآبار ومشروعات توليد الكهرباء وصناعة الأسمدة فإنها ما زالت تدرس منذ عشرات السنين ثم توضع على الرف ثم يعاد درسها ونفض الغبار عنها لتعود مرة أخرى إلى الرف ، وهكذا حتى يئس العالم الشرقى من كل دعاية تذاع أو تكتب في الصحف حول مكافحة الجهل والمرض والامية والحفاء ! !

ومن أعجب الأمور أن للشرق الأوسط مركزاً استراتيجياً ممتازاً ،
ففي رقعته تقع أكبر الموانئ والمطارات وسكك الحديد الضرورية لأي
دفاع أو هجوم ، والدول الغربية مقبلة على صراع رهيب سيكون لهذه
المرافق فيه دور خطير ، فهل استفدنا من هذا المركز الممتاز ؟ والجواب
على ذلك هو : كلا ، وسبب هذا المركز الضعيف أننا مختلفون فيما بيننا
على أمور ثانوية تاركين الدول الاستعمارية تستغل مواردنا الاقتصادية
وقواعدها الحربية وطرق مواصلاتنا ومطاراتنا وموانئنا بدون أجر
أو ثمن معقول ، بل بدون أي ميزة كبيرة نستفيد بها في معالجة تأخرنا
الاقتصادي والاجتماعي الحالي ، وإلى جوارنا دولة ضعيفة ناشئة مؤلفة
من مليون ونصف مليون نسمة — هي إسرائيل — فرضت على أسطول
بريطانيا أن يخرج من قاعدة حيفا فأخرجته ، وفرضت على السلاح
الجوى البريطاني أن يخرج من مطار اللد وغيره من المطارات الفرعية
الأخرى فخرج ، وفرضت على الجيش البري البريطاني أن يخرج من
معسكرات صرفند وعكا وغزة وحيفا وغيرها فخرج ، أما الدول العربية
التي تمثل خمسين مليوناً فإنها مازالت متفرقة مختلفة ، ولهذا تعجز عن
إخراج القوات البريطانية من مطار الحبانية في العراق ، ومن قواعدها
في شرق الأردن ، ومن منطقة فايد !!

بل أعجب من هذا كله أن لنا في بنك بريطانيا نحو ٣٠٠ مليون من
الأرصدة لا نعرف كيف نستردها منها ونطلبها قطرة بعد قطرة كأننا
نسألها إحساناً ، أما إسرائيل فقد عقدت مع بريطانيا اتفاقاً يسهل لها
سبيل الحصول على أرصدها الاسترلينية ، رغم أن مصر أهم لبريطانيا
بمواردها ومركزها الحربي من إسرائيل !!

بل هذه هي مسألة السودان والانجليز يعاملوننا فيه معاملة الأجانب
بينما يفرضون على أشقائنا سكان الجنوب أن يعاملوا الانجليز معاملة

الوثقى لأصنامهم ، ويحرمون عليه امتيازات يبيعونها للانجليز ، بل يمنعونه من دخول أماكن يدخلها ساداته الانجليز ، ويوزع البريطانيون في الجزيرة قطناً ينافسون قطننا به ، ومع ذلك فإننا مازلنا نرفض الاتجار مع دولة كبيرد أخرى ، ومازلنا نعتمد في بيع قطننا على لانكشير ١١ .

هنا وهناك

إننى أجزم بأن الأنظمة الاقتصادية السائدة في الغرب تعتمد في بقائها على قبول الشعوب لها واطمئنانها إليها . ولو أنها كانت خالية من المزايا التى تجلبها كذلك : لسقطت من زمان بعيد . فإن المرتبة التى وصلت إليها حقوق الإنسان وحرىات الشعوب في هذه البلاد ، لا تسمح لنظام ما أن يبقى طويلاً برغم أنف الذين يعيشون في ظله ، على عكس الحال عندنا ، فإن الناس كثيراً ما تكون قلوبهم ضد الحكومات ، ولكن أعمالهم معها ، وقديماً قيل : الناس قلوبهم مع الحسنيين وسيوفهم مع أعدائهم ١

وتلك الحال المنسكرة هى بعض آثار البطش السياسى الذى سادنا في القرون الوسطى ، ولا تزال بقاياها تترك في نفوس الجماهير الاستمكنة ، وتطبع الرأى العام في أغلب أطوار يقظته ، بطابع الانكار القلبي أو الاستنكار السلبي فقط . . . لما يؤلمه ١

ومهما اختلفت المذاهب الاقتصادية المنتشرة في الغرب ، وتنوعت إلى رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية فإن هناك عاملاً مشتركاً بين هذه المذاهب كلها يجعل أصحابها يتمسكون بها ، أو لا يرون بأساً من الإبقاء عليها ، وهذا العامل مفقود في الأحوال الاقتصادية التى تقوم بيننا . وتستطيع أن تجد وجوهاً من الشبه القريب بين الحياة في روسيا الشيوعية والحياة في أمريكا الرأسمالية ١ على حين تجد الصلة واهية أو مبتوتة بين الرأسمالية في أمريكا والرأسمالية في الشرق الإسلامى وغير الإسلامى ،

ففى أمريكا - كما فى روسيا - لا يعرف هذا الركام الغليظ من الجهل والفقر والمرض ولا توجد البيئة التى تخلق الرذائل خلقاً وتطرد الفضائل طرداً ، وهناك لا تقيم الفوارق الأئمة أى فاصل بين طبقات الأمة الواحدة ، بل إن رئيس الولايات المتحدة جاء من طبقة الشعب التى جاء منها رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتى . أما فى مصر والهند والحجاز والعراق فالأمور تجرى على النحو الذى أسلفناه ، ولا يجوز أن نقارن بين رأسمالية الشرق ورأسمالية الغرب فإن البون شاسع والمسافة بعيدة . إن الأحوال الاقتصادية لاتزال فى الشرق تحمل طابع عهود الإقطاع ، ولا تزال المعاملة بين مواطن ومواطن مثله ، كالمعاملة بين الإنجليز والهنود أو بين الأمريكان والزنوج !!

والإسلام لا يؤيد نظاماً اقتصادياً بعينه ، ولا يخاصم نظاماً اقتصادياً بعينه ، إنما يحارب ويسالم ما يكون من النظم بحسب ما يتولد منها وما ينشأ عنها وما يصيب الشعوب من خيرها أو شرها .

إن الدين كالنسيج الخام ، يلبس الناس منه ما يحفظ أجسامهم ويزين هيئاتهم ، وقد تختلف طرائقهم فى كيفية التفصيل وأسباب التزين ولكن لا يجوز على كل حال أن يعرفوا عنه .

والأنظمة الاقتصادية العامة قد تختلف نظراتها وتقديراتها لمصالح الجماعة ، غير أن ذلك لا يعنى أن نطرح الدين جانباً ! فما قيمة الإنسانية إذا جحدت ربها وتمردت على خالقها ؟؟ يجب أن ننتفع بالدين فى بناء أمة تتوافر فيها التربية النفسية العميقة ، والعدالة الاجتماعية الشاملة ، والديمقراطية السياسية المنظمة ، وبذلك وحده يأخذ الشرق الإسلامى طريقه إلى الحياة .

كلمة الختام

لثقافة جيش غير منظر ، يصل إلى أهدافه المرسومة في سكينه وسلام .
وإني أود أن أسلح القارئ الكريم بهذه الأفكار ، وأمل ألا يقف
عند حدود المطالعة العابرة ... ثم الموافقة الباسمة ...

فإن من الثقافات ما نعدّه ترفاً عقلياً ويكون حسب القارئ منه أن
يقف هذا الموقف ...

أما إذا تعلق الأمر بحقيقة دين كالإسلام ومستقبل أمة زحمت
التاريخ وشغلته قديماً وحديثاً كالمسلمين فالأمر أخطر مما نتصور !
هو عندئذ ضرورة مادية وأدبية تجعل من القارئ شريكاً للمؤلف ،
وتحشدهما معاً لخدمة قضية مشتركة ، يتقاسمان جميعاً أعباءها وتبعاتها !!
فلعل الذين يقرأون معي ، يقوّهون بهذا الحق ويمدون شعاع الفكرة
ويشاركون في إبلاغها الغاية ؟

محمد الغزالي
الواعظ